التـــلقي والمشـــافهـــة

إعـــداد
الأستـــاذ الدكتـــور
سامي عبد الفتاح هلال
عميد كلية القرآن الكريم
للقراءات وعلومها

التـلقي والمشـافهـة

أهمية هذا الموضوع:

يعد (التلقي والمشافهة) من أهم ما يؤسس عليه الأداء القرآني الصحيح ، ولذا كان اختيار هدا ا العنوان ، وفي ما يلي عرض لما يتعلق به :

تأتي أهميته من أنه:

١ - تَحْقِيقٌ لِوَعْدِ الله تعالى بحفظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

٢ - تأكيدُ أَنَّ التَّلَقِيَ والمشافهةَ أَهَمُّ خصائصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٣ -الِحفَاظُ على قَدَاسَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

أهدافه :

١ -الْعَمَلُ على الحِفَاظِ على قَوَاعِدِ التَّجْوِيدِ.

٢- إِشَاعَةُ الْمَنْهَجِ الْأَمْثَلِ فِي حفظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٣- دعوةُ مُعَلِّمِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إلى الْعِنَايَةِ بِالْأَدَاءِ الْقُرْآنِيِّ.

٤ - الاقْتِدَاءُ بِسَلَفِ الْأُمَّةِ الصَّالِحِ فِي تعلمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وعدمُ الرُّكُونِ بِالْكُلِّيَّةِ إِلَى التَّقْنِيَاتِ الحديثةِ.

٥ -البعدُ عَنِ الْأَخْطَاءِ الْأَدَائِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ لَدَى عُلَمَاءِ هَذَا الْفَنِّ.

خطة البحث،

وتتكون من عدة نقاط:

١- التمهيد.

٢- مدخل إلى أهمية التلقي والأداء والمشافهة.

٣- مفهوم التلقي والأداء في اللغة والاصطلاح.

٤- طرق أداء القرآن الكريم وتحمله.

٥- صيغ التلقي والمشافهة.

٦- التلقي عند أهل الحديث.

٧- حجية تلقي القراءات القرآنية.

٨- صفة قراءة النَّبِيِّ ﷺ.
٩- البدايةُ الزمنيةُ لِلتَّلَقِّي والمشافهةِ.
١٠- التَّلَقِّي والمشافهةُ في حياة الصحابةِ - رضوان الله عليهم -.
١١- كيفية تلقي الصحابة -رضوان الله عليهم -.
١٢- صورُ تبليغِ النص القرآني شفاهية بغير عرض.
١٣- علاقة التلقي والمشافهة برسم المصحف الشريف.
١٤- التَّلَقِّي والمشافهةُ، والقراءاتُ القرآنيةُ المتواترة.
١٥- القراءات توقيفية لا اجتهادية.
١٦- بين علمي التَّلَقِّي والمشافهة، وَالتَّقْنِيَات الحديثة.
١٧- أهم النتائج.

الأسباب التي أدت إلى اختيار هذا الموضوع:

١- إثارةُ عدَّةِ أسئلةٍ في ذِهْنِ القارئ. منها : هل يمكن مع هذا التقدم العلمي لِلتَّقْنِيَاتِ المُزَامِنَةِ أن يُتَعَلم القرآن الكريم من المصحف أو بواسطة هذه الآلات الحديثة.

٢- القرآن الكريم مكون من حروف الهجاء المعروفة، وهي حروف اللغة العربية، ومع ذلك كل المتعلمين يقرءون الكتب باللغة العربية من غير تلقٍّ أو مشافهة، بخلاف القرآن الكريم.

٣- في القديم والحديث وجودُ بعض التَّصْحِيفَاتِ؛ بسبب عدم التلقي والمشافهة، مِمَّا يُخِلُّ بجلال القرآن الكريم، وقد نقل صاحبُ كتاب الجمع الصوتي بعضَ أمثلة من ذلك، كقراءة بعضهم قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ [ص: ٢] حَيْثُ قرئت: (غِرَّةٍ)، وَقَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } [عبس: ٣٧] حَيْثُ قرئت: (يَعْنِيهِ). وقوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ } [المائدة: ٤] حَيْثُ قرئت: (الخَوَارِجِ)، ومن أراد المزيدَ فَلْيَرْجِعْ إلى كتاب الجمع الصوتي(١).

(١) ينظر: الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم للدكتور لبيب السعيد، ص ١٠٤ (وما بعدها).

٤- حروفُ القرآن الكريمِ لها خصائصُ في أدائها وصفاتها تَلْزَمُ القارئ.

* * *

تمهيد

الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِقِرَاءَاتِهِ الْمُتَوَاتِرَةِ كَلَامُ اللهِ وَوَحْيُهُ الْمُنَزَّلُ، قَالَ تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤]، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بالبلاغ بقوله: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وتبليغُ الرَّسُولِ ﷺ مَا أُنْزِلَ إليه من القرآنِ وقراءاته، لا يُتَصَوَّرُ إِلَّا أَن يقرأه ويتلوه الرَسُولَ ﷺ على أصحابه بعد أَنْ علَّمه جَبْرِيلُ عليه السلام إياه؛ وما ذلك إلا لأن القرآن الكريم بقراءاته له خصوصيته، فهو كلام يتلى ويسمع، وَالنَّبِيُّ ﷺ أُمِّيٌّ لا يكتبُ ولا يقرأُ، فلم تكن هناك وسيلة للتبليغ إلاَّ بقراءته ﷺ على أصحابه؛ لهذا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ بالترتيلِ تَعْلِيمًا للأمةِ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، ولا شَكَّ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد امْتَثَلَ ذَلِكَ الأمرَ بالترتيل، كما امْتَثَلَ الأمرَ بتلاوةِ القرآنِ الكريمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٩١ – ٩٢].

وَالتَّرْتِيلُ مَعْنَاهُ: أن تكونَ كلماتُ القراءةِ متميزةً، واحدة بعد واحدة، بحيث لا يكون بَيْنَهُنَّ تَدَاخُلٌ(١)، وقد عَبَّرَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ – رضي الله عنه - عن هذا بقوله: "الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف"(٢).

فَتَجْوِيدُ الحروفِ لا يَتَأَتَّى إلاَّ بقراءتها مستوفيةً حَقَّهَا وَمُسْتَحَقَّهَا، والوقف في الموضع المناسب، وغير ذلك.

قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ (ت٢٠٤هـ) رحمه الله: "فَأَقَلُّ الترتيلِ تَرْكُ العجلةِ فِي القرآن عن الإبانة، وكلما زاد على أقلِّ الْإِبَانَةِ فِي الْقُرْآنِ كان أَحَبَّ إِلَيَّ، ما لم يبلغْ أن تكونَ الزيادةُ فيه تَمْطِيطًا"(٣).

---

(١) ينظر: المدخل إلى فن الأداء للدكتور عبد الغفور جعفر، ص ٤٥.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢٠٩/١.

(٣) ينظر: أحكام القرآن للشافعي ٦٤/١.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ (ت٣٣٨هـ) رحمه الله: "وَالْقِرَاءَةُ بِالتَّرْتِيلِ وَالْمُكْثِ واجبةٌ بِنَصِّ القرآن. وَالتَّرْتِيلُ: التَّبْيِينُ"(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت٨٣٣هـ) رحمه الله: "فَقَدْ كَانَ علماءُ القِرَاءَةِ من الصحابةِ، والتابعين، وَمَنْ جاءَ بعدهم يَحْرِصُونَ على حُسْنِ الأداءِ، وتجويدِ الْقِرَاءَةِ، وَهَذَا ما فَهِمُوهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً} [المزمل: ٤]"(٢).

هذا، وقد أَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ الحروفَ في قراءته حقَّها ومستحقَّها على الأصول الصحيحة دُونَ مَا بُطْءٍ، وَلاَ عَجَلَةٍ، بل كانت مُيَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا.

من أَجْلِ ذلك نصَّ العلماءُ على أن تجويد اللفظ، وتقويم الحروف، واجبٌ على كُلِّ مَنْ قَرَأَ شَيْئًا مِنَ القرآن كَيْفَمَا كان؛ لأنه لا رخصة في تغيير اللفظ بالقراءة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨](٣).

وكان ثَمَرَةُ هذا أَنْ وَصَلَ إلينا القرآنُ الكريم بقراءاته عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عن جِبْرِيلَ الأمينِ عليه السلام عَنْ رَبِّ الْعِزَّةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُجَوَّدًا مُحْكَمًا مُتَوَاتِرًا؛ تَحْقِيقًا لِوَعْدِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

والمرادُ مِنْ ذَلِكَ بِإِيجَازٍ شَدِيدٍ: (حفظ المكلفين إِيَّاهُ من التحريف، والتبديل، والزيادة، والنقصان، والعمل بما فيه)(٤).

وقد وَفَّقَ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الأمةَ لِتَحْقِيقِ هذا الحفظ بِاتِّبَاعِهَا منهجَ التَّلَقِّي في الأداءِ، والتواتر في النقل. وهذا التواتر في النقل قد صار سنةً في الأمة، لاَ سِيَّمَا القراءاتُ المتواترةُ التي أجمعت الأمةُ عليها، وتلقتها بالقبول. كُلُّ ذلك لا يخرج عن مفهوم التلقي والمشافهة؛ باعتباره هو المنهج الأمثل في نقل القرآن الكريم، وهو منهج نبوي كريم اتبعه النبي ﷺ في تعليم الصحابة - رضوان الله عليهم -.

* * *

(١) القطع والائتناف، ص ٧٣.

(٢) النشر ٣/١.

(٣) ينظر: الموضح للشيرازي ١٥٦/١ - ١٥٧.

(٤) ينظر: تفسير البيضاوي ٥٢٦/١.

مدخل إلى أهمية التلقي والأداء والمشافهة:

تأتي أهمية تلقي القراءة القرآنية لأمور منها:

الأول: أَنَّ مِنَ الكلماتِ القرآنيةِ ما يَخْتَلِفُ نُطْقُهُ عن رَسْمِهِ في المُصْحَفِ الشَّرِيفِ، كَافْتِتَاحِ بَعْضِ السُّوَرِ بالحروفِ المُقَطَّعَةِ، نَحْوَ: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾[مريم: ١]، ﴿ حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ﴾ [الشورى: ١ -٢]، وَزِيَادَةِ بَعْضِ الحروفِ، كالواوِ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ ﴾[المائدة: ٣٣]، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا حَوَتْهُ كُتُبُ الرَّسْمِ. وقد كان المصدرُ الْأَسَاسُ في ذلك كُلِّهِ هو التَّلَقِّيَ والمشافهةَ(١).

الثاني: أن من أحكام القراءة ما لا يمكن إِحْكَامهُ إلاَّ بالتلقي، كالتفخيم، والترقيق، والمد، والقصر، والإدغام، والإظهار، والإخفاء، والروم، والإشمام، والإبدال، والاختلاس، والنقل، والقلب، والحذف، والإمالة وأنواعها، وتسهيل الهمزات وإبدالها، وإعطاء الحروف حقها ومستحقها، ورد كل منها إلى مخرجه وأصله، والنطق بكل حرفٍ على كَمَالِ هَيْئَتِهِ من غير إسراف، ولا تعسف، ولا إفراط، ولا تكلف، هذا إضافة إلى الغنة وَكَيْفِيَّاتِهَا التي اسْتَصْعَبَهَا بعضُ الناسِ فَأَنْكَرُوهَا، وَحَاوَلُوا صَرْفَ الناسِ عنها، إلى غير ذلك مما هو مُدَوَّنٌ في كتب التجويد.

مفهوم التلقي والأداء في اللغة والاصطلاح:

تَدُورُ مادةُ التَّلَقِي لُغَوِيًّا حَوْلَ معنى: (اسْتِقْبَالِ الشَّيءِ وَتَصَوُّرِهِ)(٢)، وهو قريبٌ من المعنى الاصطلاحي: الذي ينص على أن تلقيَ القراءة القرآنية معناه: (الاستماع إلى من يتلوه بصوت يسمع بوضوح)؛ بغية استظهاره بمثل ما تُلِيَ.

والتلقي هنا: استقبال بالسماع، وقبول مع حِرْصٍ شديدٍ عَلَى وَعْيِ المسموع.

وتدور مادة الأداء في اللغة حول إيصال الشيء وتهيئته للانتفاع به. والمشهور أن الأداء في الاصطلاح عمل صوتي يعبر عن قراءة شخص ما القرآن الكريم(٣).

---

(١) ينظر: دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط للخراز، ص ٢٨٣.

(٢) ينظر: لسان العرب مادة: (اللام – القاف - النون) ١٣/٤٨٠.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة: (اللام – القاف - النون) ١٣/٤٨٠.

وتجويد القرآن هو الآخر عمل صوتي، إلا أن الأداءَ أَدَلُّ على الجزء العملي في تلاوة القرآن من لفظ تجويد، وهو الجزء المهم في هذا الفن، والمقصود أداء القرآن الكريم، في حين أن التجويد أشمل وأدل على الفن أو العلم من الأداء.

طرق أداء القرآن الكريم وتحمله:

الذي عليه العمل في أداء القرآن الكريم وتحمله الأنواع التالية:

١ - السماع من الشيخ، ثم العرض عليه؛ ليؤدىَ الطالب بنفس الهيئة والكيفية التي سمعها من شيخه مثل ما سمع، وهذا أعلى درجات التحمل، ويسمى هذا التحمل: (رواية وتلاوة)، أو (رواية وعرضا).

٢ - العرض على الشيخ، وهو أن يعرض على شيخه القرآن الكريم، والشيخ يعي ما يسمع، ويسمى هذا التحمل: (عرضا)، أو (تلاوة).

٣ - السماع من الشيخ، وهو أن يسمع من شيخه القرآن دون أن يقرأ الطالب، ويسمى هذا التحمل: (سماعا)، أو (رواية)(١).

وَأَخْلُصُ مِمَّا سَبَقَ إلى أن الطَّرِيقَةَ المُثْلَى الَّتِي يَتَحَقَّقَ بِهَا التَّلَقِّي الْكَامِلِ الصحيح لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، هِيَ: السَّمِاعُ مِنَ الشَّيْخِ، ثُمَّ الْعَرضُ عَلَيْهِ. وَاللهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

❖ ❖ ❖

(١) ينظر: الحلقات المضيئات من سلسلة أسانيد القراءات للسيد أحمد عبد الرحيم ٦٢/١.

صيغ التلقي والمشافهة :

الصيغة الأولى (أَخَذَ) :

قَالَ الْإِمَامُ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (ت٤٢٥هـ) رحمه الله: "الْأَخْذُ: حَوْزُ الشَّيءِ وَتَحْصِيلِهِ، وَذَلِكَ تَارَةً بِالتَّنَاوُلَ، نَحْوَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأۡخُذَ إِلَّا مَن وَجَدۡنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّظَٰلِمُونَ ٧٩﴾ [يوسف: ٧٩]، وَتَارَةً بِالْقَهْرِ، نَحْوَ قَوْلِهِ تعالى: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ٢٥٥﴾ [البقرة: ٢٥٥]"(١).

وَقَالَ جَارُ اللهِ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت٥٣٨هـ) رحمه الله: "مَا أَنْتَ إِلاَّ أَخَّاذٌ نَبَّاذٌ: لِمَنْ يَأْخُذِ الشَّيءَ حَرِيصًا عَلَيْهِ، ثُمَّ يَنْبِذُهُ سَرِيعًا" (٢).

وَقَالَ جَمالُ الدِّينِ بْنُ مَنْظُورٍ (ت٧١١هـ) رحمه الله: "الْأَخْذُ: خِلَافُ الْعَطَاءِ، وَهُوَ أَيْضًا التَّنَاوُلُ. أَخَذْتُ الشَّيءَ آخُذُهُ أَخْذًا: تَنَاوَلْتُهُ" (٣).

وَجَاءَ فِي الْمُعْجَمِ الْوَسِيطِ: "أَخَذَ الشَّيءَ أَخْذًا، وَتَأْخَاذًا، وَمَأْخَذًا: حَازَهُ وَحَصَّلَهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: {خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ ١٠٣} [التوبة: ١٠٣] .... و(الْأَخْذُ)، وَ(الْإِخْذُ): السِّيرَةُ وَالهَدْيِ، يُقَالُ: ذَهَبُوا وَمَنْ أَخَذَ أَخْذُهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ مِنَّا لَأَخَذْتَ بِأَخْذِنَا، أَيْ: بِطَرِيقَتِنَا وَهَدْيِنَا"(٤).

ومن هذا يَتَّضِحُ أَنَّ (الْأَخْذَ) يدورُ حَوْلَ: حَوْزِ الشَّيءِ، وَتَحْصِيلِهِ، وَتَنَاوُلِهِ، وَالسِّيرَةِ وَالهَدْيِ.

قَالَ الْأُسْتَاذُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدٌ جَبَلٌ (ت: ١٤٣٧ هـ) رحمه الله: " (أَخَذَ): ... المعني المحوريُّ: حوز الشيء من الأثناء ضَمًّا، أو قَبْضًا على غِلَظٍ مَادِّي، أو معنوي... وقد جاء في القرآن خَمْسًا وَخَمْسِينَ مَرَّةً "(٥). والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر : مفردات ألفاظ القرآن، مادة : (همزة – خاء – ذال)، ص ٦٧.

(٢) ينظر : أساس البلاغة بمادة : (همزة – خاء – ذال)، ص١٣.

(٣) ينظر: لسان العرب، مادة : (همزة – خاء – ذال)، ٣ / ٥٧٧.

(٤) ينظر : المعجم الوسيط، مادة: (همزة – خاء – ذال)، ص٨.

(٥) ينظر: المعجم الاشتقاقي ١ / ٥٣٥ (وما بعدها بتصرف).

وَمِنْ ثَمَّ يُطْلَقُ على المعنى المعروفِ، الذي هو أَخْذُ الصحابةِ القرآنَ عن النَّبيِّ ﷺ. والله تعالي أعلم.

هذا، وقد وردت صِيغَةُ: (أَخَذَ) دَلاَلَةً على تَلَقِّي القرآن الكريم، وَأَخْذِهِ مِنْ فِي رسول الله ﷺ في ترجمةِ بعضِ كبارِ الصحابةِ والتابعين، كترجمة: سيدنا أُبَيٍّ بن كعب(١)، وسيدنا أَبِي الدَّرْدَاءِ(٢)، وسيدنا عبد الله بن أَبِي السَّائِبِ(٣)، وسيدنا أَبِي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ وَغَيْرِهِمْ.

الصيغة الثانية : (عَرَضَ) :

قَالَ الْإِمَامُ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (ت٤٢٥هـ) رحمه الله: "الْعَرْضُ: خِلَافُ الطُّولِ، وَأَصْلُهُ أَنْ يُقَالَ فِي الْأَجْسَامِ، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي غَيْرِهَا، كَمَا قَالَ تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [فصلت: ٥١]"(٥).

وَقَالَ جَارُ اللهِ الزَّمَخْشَرِيُّ (ت٥٣٨هـ). رحمه الله -: "عَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ قَتَلَهُمْ، وَعَلَى النَّارِ، أَيْ: أَحْرَقَهُمْ، وَعُرِض لِفُلَانٍ إِذَا جُنَّ"اهـ(٦).

وعلى هذا تدور مادة: (عَرَضَ) في الكلام العربي، كما ظهر مما سبق على إبراز الشَّيءِ وإظهارِهِ؛ لِيُرَى للناظرين. وَمِنْ ثَمَّ يُطْلَقُ على المعني المعروفِ، الذي هو عَرْضُ الصَّحَابَةِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ(٧). والله تعالي أعلم.

هذا، وَقَدْ وَرَدَتْ صِيغَةُ: (عَرَضَ) دَلاَلَةً عَلَى تلاوةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ الله ﷺ في تَرْجَمَةِ بَعْضِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، كَتَرْجَمَةِ: سيدنا عَلِيٍّ بن أَبِي طالب(٨)،

---

(١) ينظر : معرفة القراء الكبار للذهبي، ص ١٣.

(٢) ينظر : السابق، ص ١٣.

(٣) ينظر : السابق، ص ٢٠.

(٤) ينظر : السابق، ص ٢٧.

(٥) ينظر : المفردات، مادة : (عين – راء – ضاد)، ص٥٥٩.

(٦) ينظر : الأساس، مادة: (عين – راء – ضاد)، ص٤٩٤.

(٧) ينظر : المعجم الوجيز مادة: (عين – راء – ضاد)، ص ٤١٣ .

(٨) ينظر : معرفة القراء الكبار، ص ١٢.

وسيدنا أَبَيٍّ بن كعب(١)، وسيدنا عبد الله أَبِي السَّائِبِ(٢)، وسيدنا أبي عبد الرحمن السلمي(٣)رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَغَيْرِهِمْ.

الصيغة الثالثة : (قَرَأَ) :

قَالَ الْإِمَامُ الرَّاغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ (ت٤٢٥هـ) رحمه الله: "قَرَأَتِ الْمَرْأَةُ: رَأَتِ الدَّمَ، وَأَقْرَأَتْ: صَارَتْ ذاتَ قَرْءٍ، وَقَرَأْتُ الجَارِيَةَ: اسْتَبْرَأْتُهَا بِالْقُرْءِ ... وَقَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: إِنَّ الْقَرْءَ مِنْ: (قَرَأَ)، أَيْ: جَمَعَ"(٤).

وجاء في المعجم الوسيط: "قَرَأَ الْكِتَابَ قِرَاءَةً وَقُرْآنًا: تَتَبَّعَ كَلِمَاتِهِ نَظَرًا وَنَطَقَ بِهَا، وَتَتَبَّعَ كَلِمَاتِهِ وَلَمْ يَنْطِقْ بِهَا؛ وَسُمِّيَتْ حَدِيثًا بِالْقِرَاءَةِ الصَّامِتَةِ. وَقَرَأَ الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ: نَطَقَ بِأَلْفَاظِهَا عَنْ نَظَرٍ أَوْ عَنْ حِفْظٍ. فَهُوَ قَارِئٌ. وَجَمْعُهُ: قُرَّاءٌ وَقَرَأَ الشَّئَ قَرْأً وَقُرْآنًا: جَمَعَهُ وَضَمَّ بَعْضَهُ إِلَى بَعْضٍ"(٥).

وَمِنْ ثَمَّ يُطْلَقُ على المعنى المعروفِ، الذي هو قراءة الصَّحَابَةِ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ أَوْ مِنْ صُحُفٍ(٦). والله تعالي أعلم.

هذا، وَقَدْ وَرَدَتْ صِيغَةُ: (قَرَأَ) دَلَالَةً عَلَى تلاوةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ الله ﷺ فِي ترجمةِ بعضِ كِبَارِ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ، كترجمة: سيدنا عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ(٧)، وسيدنا عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(٨)، وسيدنا عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ(٩)، وسيدنا أَبِي مُوسَى

---

(١) ينظر : السابق، ص ١٣.

(٢) ينظر : السابق، ص ٢٤.

(٣) ينظر : السابق، ص ٢٧.

(٤) ينظر : المفردات، مادة: (قاف – راء – همزة)، ص ٦٦٨.

(٥) ينظر : المعجم الوسيط، مادة: (قاف – راء – همزة)، ص ٧٢٢.

(٦) ينظر : المعجم الوجيز مادة: (قاف – راء – همزة)، ص ٤٩٤ ، ٤٩٥.

(٧) ينظر : معرفة القراء الكبار للذهبي، ص١٠.

(٨) ينظر : السابق، ص ١٢.

(٩) ينظر : السابق، ص ١٥.

الْأَشْعَرِيِّ(١)، وسيدنا أَبِي الدَّرْدَاء(٢)، وسيدنا أَبِي هُرَيْرَةَ الدَّوْسِيِّ(٣)، وسيدنا عَبْدِ الله الله بْنِ عَبَّاسٍ(٤)، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَغَيْرِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ النَّاظِمِ (ت٨٣٥هـ) ـ رحمه الله ـ (٥) الْفَرْقَ بَيْنَ التِّلاَوَةِ وَالْأَدَاءِ والقراءة بقوله: "التلاوة قراءة القرآن متتابعا، كالأوراد والدراسة، والأوراد الموظفة. والأداء: الأخذ عن الشيوخ. والقراءة: أعم، تطلق على التلاوة والأداء معا"(٦).

وَقَدْ عَلَّقَ الْعَلاَّمَةُ التَّاذَفِيُّ (ت٩٧١هـ) رحمه الله على كلام الْعَلاَّمَةِ ابْنِ النَّاظِمِ السَّابِقِ بقوله: "والحق أن الأداء القراءة بحضرة الشيوخ، عَقِيبَ الْأَخْذِ من أفواههم، لا الأخذ نفسه"(٧).

* * *

التلقي عند أهل الأداء وأهل الحديث:

نهج علماء القراءات من العصور الأولى منهجًا دقيقًا في تلقي القراءة ونقلها من جيل إلى جيل، فلم يكن الأستاذ – أي: الشيخ – يأذن لتلميذه بالقراءة إلاَّ بعد أن يسمع التلميذُ من الأستاذ أولاً، ثم يعرض التلميذُ على أستاذه ما سمعه منه؛ لكي يَسْتَوْثِقَ الْأُسْتَاذُ مِنْ حُسْنِ أَدَاءِ تِلْمِيذِهِ الْمُتَلَقِّي.

هذا، وقد يطلق على المنهج السابق بأكمله: (إِقْرَاءٌ)، أو (عَرْضٌ) إذا تَمَّ في مَجْلِسٍ وَاحِدٍ، وقد يطلق عليه: (عَرْضٌ) فقط إذا تَمَّ في مَجْلِسَيْنِ.

فالإقراء والعرض، أو السماع تارة، والتلاوة تارة أخرى، هما أَكْمَلُ صفات التحمل لكتاب الله تعالى.

وقد صنع رجال الحديث الشريف في تحمل السنة ما يقرب من هذا، غير أنهم اكتفوا في تحمل الحديث بالسماع من لفظ الشيخ، وليس كذلك في علم القراءات.

---

(١) ينظر: السابق، ص ١٩.

(٢) ينظر: السابق، ص ٢٠.

(٣) ينظر: السابق، ص ٢١.

(٤) ينظر: السابق، ص ٢٢.

(٥) هو: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ يُوسُفَ، أَبُو بَكْرٍ، شِهَابُ الدِّينِ، ابْنُ الجزريِّ، وُلِدَ في سنةَ: (٧٨٠هـ)، وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: شرحُ المقدمةِ الْجَزَرِيَّةِ، وغيره، وتوفي سنة: (٨٣٥هـ). ينظر: غاية النهاية ١/١٣٠، والأعلام ١/٢٢٧، وهدية العارفين لإسماعيل باشا ١/١٢٣.

(٦) ينظر: الحواشي المفهمة، ص ٦٨.

(٧) ينظر: الفوائد السرية، ورقة: (٢١).

قَالَ الْإِمَامُ جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ (ت٩١١هـ) ـ رحمه الله ـ (١): "وأوجه التحمل عند أهل الحديث: السماع من لفظ الشيخ، والقراءة عليه، والسماع عليه بقراءة غيره، والمناولة، والإجازة، والمكاتبة، والوصية، والإعلام، والوجادة، فأما غير الأولين فلا يأتيان هنا"(٢).

فهذه هي أوجه التحمل عند أهلِ الحديث ـ حفظهم الله تعالى ـ، والمستعمل منها عند علماء القراءات هما الأولان؛ ضماناً لوثاقة نقل النص القرآني.

* * *

حجية تلقي القراءة القرآنية:

السنة النبوية الصحيحة تُبَيِّنُ أن النّبيَّ ﷺ نَفْسَهُ مع كمال فصاحته أخذ القرآن من جبريل ـ عليهما الصلاة والسلام ـ معارضة، أي: مدارسة بالقرآن في كل سنة مرة حتى كان عام وفاته ﷺ عارضه مرتين.

والعرض على جبريل عليه السلام ـ فيما يقرر الأئمة ـ عرض النص الكريم أي قراءته أمامه؛ ضبطاً لكلماته وآياته، ومنذ عهد النبي ﷺ إلى وقتنا هذا وتلقين القرآن مشافهة، وعلى هذا فالتلقي والمشافهة هما الأساس في نقل القرآن بقراءاته المتواترة.

* * *

صفة قراءة النبي ﷺ:

أعطى النبي ﷺ ضبط الحروف في قراءته حقها ومستحقها على الأصول الصحيحة، وأن قراءته ﷺ لم تكن هذاً، بل كانت ميسرة حرفاً حرفاً، ومن هنا تبدو صفة قراءة النبي ﷺ، والتي عبر عنها سيدنا أنس رضي الله عنه لما سئل: كيف كانت قراءة رسول الله ﷺ؟ فقال: "كَانَتْ مَدًّا" أي: ذات مدٍّ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يَمُدُّ: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾، وَيَمُدُّ: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾، وَيَمُدُّ: ﴿ ٱلرَّحِيمِ ﴾"(٣).

---

(١) هو: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، جَلَالُ الدِّينِ السُّيُوطِيُّ، إِمَامٌ حَافِظٌ، مُشَارِكٌ فِي أَنْوَاعٍ مِنَ الْعُلُومِ، وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ: الْمُزْهِرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ، وَغَيْرُهُ، وَتُوُفِّيَ سَنَةَ: (٩١١هـ). ينظر: معجم المؤلفين ١٢٨/٥.

(٢) ينظر: تدريب الراوي ٥٨١/١ (وما بعدها).

(٣) رواه البخاري حديث رقم: (٥٠٤٥)، والنسائي حديث رقم: (١٠١٣)، وأبو داود (١٤٦٥)، وابن ماجه حديث رقم: (١٣٥٣).

قال العلامة أبو الحسن السِّنْدِيُّ (ت١١٣٨هـ) في شرح سنن النَّسَائِيِّ (ت٣٠٣هـ) رحمهما الله: "أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة؛ ليستعين بها على التدبر والتذكر، وتذكير من يتذكر"(١).

* * *

البداية الزمنية للتلقي والمشافهة:

يمكن أن نحدد البداية الزمنية لهذا المصطلح من نزول قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١]، وهي الآيات الأولى من الوحي.

وجاء جبريل عليه السلام؛ ليعلم النبي ﷺ القراءة، والقصة مشهورة ليس محلها هنا ولكن نأخذ منها البداية الزمنية لمرحلة التلقي.

ويؤكد ذلك قولُ الله تعالى لنبيه ﷺ عندما كان يحرك لسانه؛ لِيَتَعَجَّلَ القراءة قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٨]، وكانت ثمرة ذلك أن تلقي النبيُّ ﷺ القرآن العظيم على أحرفه السبعة المنزل عليها من جبريل عليه السلام، وهو عن رب العزة سبحانه وتعالى، وهذا ما أشارت إليه روايات صحيحة لأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف كما في نحو: "أقرأني جبريل القرآن"(٢).

والواقع يشهد أن عهده ﷺ بدئ فيه تعليم قراءة القرآن الكريم، ثم اتسع نطاق هذا العلم تصنيفاً وتأليفاً؛ لازدياد عُمْر ذلك العلم، فما نراه الآن ما هو إلا ثمرة مرور القرون، وَكَرُّ الدهور، ويكفي أن أول ما نزل من القرآن كان أمراً بالقراءة قال تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾ [العلق: ١].

ففي الآية ربط بين القراءة والخلق؛ وما ذلك إلا للدلالة على أن كليهما إيجاد من عدم، فالإنسانُ قبل تعلم قراءة القرآن غيرُهُ بعد التعلم؛ كأنه خُلقَ من جديد.

---

(١) شرح سنن النسائي ٢٦٢/١ (دار الحديث).

(٢) رواه البخاري حديث رقم: (٤٩٩١)، وأحمد (٧١١/٤) (شاكر) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والطبري حديث رقم: (٢٢).

ولم يقف الأمر عند حد تلقي النبي ﷺ القرآن، فقد قام بواجب تبليغه للصحابة الكرام، وهذا ما أكدته الآيات القرآنية التي تبين تعليم النبي ﷺ القرآن الكريم للأمة وذلك من خلال بعض هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولاً مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا } [البقرة: ١٥١].

قال تعالى:{لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ } [آل عمران: ١٦٤]، ونحو ذلك.

قال تعالى:{هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ} [الجمعة: ٢].

وَيُلْحَظُ عَلَى هَذِهِ الآياتِ وغيرها تَقْدِيمُ كلمة التلاوة في الآيات على التزكية والعلم، وهذا يؤكد أهمية التعليم في التلقي والمشافهة.

وفي القراءات القرآنية ما يدل على ذلك أيضًا:

فقد أخرج الإمامان البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما - واللفظ لمسلم - أن رسول الله ﷺ قال: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزيده، حتى انتهي إلى سبعة أحرف"اهـ(١).

وقد عَلَّمَ النبيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ القراءاتِ القرآنية وهو يعلمهم القرآنَ الكريم؛ باعتبار ارتباط القراءات بالقرآن الكريم ارتباط الجزء بالكل، وذلك بأن يُقْرِئَ ﷺ صحابيًا بحرف، وآخَرَ بحرفٍ، وما قصة سيدنا هشام بن حكيم مع سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مِنَّا ببعيدة، والشاهد فيها أن سيدنا هشاماً قال: " أقرأني رسول الله ﷺ. وقال عُمَرُ أقرأني رسول الله ﷺ وقال ﷺ هكذا أنزلت لكل منهما " وفي ذلك دليل على التلقي والمشافهة في كل الأحوال(٢).

* * *

(١) رواه البخاري فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم: (٤٩٩١)، ومسند أحمد ١١٧/٤(شاكر)، والطبري حديث رقم: (٢٢).

(٢) رواه البخاري فضائل القرآن باب أنزل القرآن على سبعة أحرف حديث رقم: (٤٠٤١)، ومسلم، حديث رقم: (٨١٨)، وأبو داود حديث رقم: (١٤٧٥)، والنسائي حديث رقم: (٩٣٥ – ٩٣٦ – ٩٣٧).

التلقي والمشافهة في حياة الصحابة رضوان الله عليهم:

حَرَصَ الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم على تلقي القرآن والقراءات مِنْ فِيِّ رسول ﷺ الشريف، ثم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وَعَدُّوا ذلك مطلبًا رئيساً؛ لأنه يتعلق بدستور الأمة.

ففي خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ اشتدت الحاجة إلى تعليم الناس القرآن الكريم؛ وذلك لكثرة الفتوحات، ولدخول الناس في دين الله أفواجاً، واستشعر ﷺ أن الأمر يحتاج إلى إرسال معلمين؛ ليعلموا الناس القرآن ويأخذوه من أفواه شيوخ الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأنه لا يؤخذ إلا بالتلقي؛ فأرسل سيدنا عبد الله بن مسعود مع عمار بن ياسر رضي الله عنهم إلى الكوفة(١).

ولم يقف الأمر عند ذلك بل طلب الولاة من سيدنا عمر أن يرسل إليهم من يعلمهم القرآن، وهذا هو يزيد بن أبي سفيان يطلب من سيدنا عمر ذلك، وقد استجاب أمير المؤمنين له، وجمع خمسة من كبار الصحابة، وهم: (معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبى بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري)، وقال لهم: "إن إخوانكم من أهل الشام قد اسْتَعَانُونِي بِمَنْ يعلمهم القرآن، وَيُفَقِّهَهُمْ في الدين، فأعينوني رحمكم الله، وانتهي الأمر بخروج (معاذ، وأبي الدرداء، وعبادة) رضي الله عنهم، وأسسوا بذلك مدارس للإقراء في الشام"اهـ(٢).

والشاهد من ذلك إرسال المعلمين إلى الأمصار، وهو دليل قاطع على أن القرآن لا بد فيه من التلقي والمشافهة، ثم تتابع الأمر بعد ذلك في عهد سيدنا عثمان ﷺ لما نَسَخ المصاحف الشريفة.

* * *

كيفية تلقي الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ القرآن من النبي ﷺ؟

الذي يُعْمِلُ عَقْلَهُ في الجواب عن هذا السُّؤَالِ يتصور العَلاَقَةَ بين النَّبِيِّ ﷺ وصحابته الأكرمين، فهم كانوا يلازمونه في أغلب الأوقات، إذ كان يصلي بهم إمامًا، ويصحبهم في بعض الغزوات، ويجالسهم في الحضر والسفر، وهذه الملازمة تقتضي أنهم سمعوا منه ﷺ القرآن في أحوال متعددة، وسنعرض هنا لبعض هذه الصور في تعليم

(١) ابن سعد في الطبقات الكبرى ٦ /٧ وابن عبد البر في الاستيعاب ٣ / ٩٩٢.

(٢) انظر ابن سعد الطبقات الكبرى ٢ / ٣٥٦ وسير أعلام النبلاء ٢ / ٢٤٨.

القرآن الكريم مشافهة ؛ لأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب، وقد حاز قَصَبَ السَّبْقِ في هذا الصدد فضيلة الأستاذ الدكتور محمد حسن جبل رحمه الله، حيث قال:

صور تبليغ النص القرآني شفاهيا (جماعيا) بغير عرض:

١- إسماعه ﷺ من حضر مجلسه المعتاد ما نزل عليه من القرآن في ذلك المجلس:

كان ﷺ يقرأ ما أوحي إليه فور تلقيه على من حضره من أصحابه ؛ ليتلقّوه عنه وعلى كاتبه ﷺ ؛ ليدوِّن ما أنزل كما أنزل.

ومن أمثلة هذا ما رواه الأئمة واللفظ لأبي داود: "عن زيد بن ثابت قال: كنت إلى جنب رسول الله ﷺ فغشيته السكينة (يعني ما كان ﷺ يغشاه عند نزول الوحي عليه) فوقعت فَخِذُ رسول الله ﷺ على فخذي، فما وجدت ثقل شئ أثقل من فخذ رسول الله ﷺ، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اكتب. فكتبت: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٩٥] إلى آخر الآية، فقام ابن أم مكتوم – وكان رجلاً أعمى – لما سمع فضيلة المجاهدين فقال: يا رسول الله ﷺ فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله ﷺ السكينة فوقعت فخذه على فخذي، ووجدت من ثقله في المرة الثانية، كما وجدت في المرة الأولى، ثم سُرِّيَ عنه فقال: اقرأ يا زيد. فقرأت: ﴿ لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ٩٥] فقال رسول الله ﷺ: ﴿ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ ﴾ الآية كلها. قال زيد فأنزلها الله وحدها فألحقتها..."اهـ(١).

٢- قراءته ﷺ على من يدعوهم إلى الإسلام:

كثيرا ما كان ﷺ يتخذ تلاوة القرآن وإسماعه لمن يدعوهم إلى الإسلام وسيلة للدعوة والإقناع.

فقد جاء في صورة دعوة رسول الله ﷺ أبا بكر إلى الإسلام أنه ﷺ قال له: "... فأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاة على طاعته" وقرأ عليه القرآن. فأسلم أبو بكر ﷺ (٢).

---

(١) رواه البخاري حديث رقم: (٢٨٣٢) والنسائي حديث رقم: (٣٠٩٩) والترمذي حديث رقم: (٣٠٣٣) وأبو داود حديث رقم: (٢٥٠٧) وغيرهم من حديث زيد ابن ثابت.

(٢) رواه البخاري (الشعب ٦/٤٠).

٣- قراءته ﷺ القرآن على الناس في المسجد:

روى البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا، قرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر. وفي رواية أخرى عنها أيضا "لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة خرج رسول الله ﷺ فتلاهن في المسجد فحرم التجارة في الخمر(١).

٤- قراءته ﷺ على جمهور المسلمين إذا أنزل عليه القرآن في أثناء السفر:

ومن صور التبليغ أن يقرأ ﷺ على جمهور من المسلمين المجتمعين لأمرٍ ما أنزل عليه من القرآن. ونذكر هذا المثال في ثلاث روايات:

الرواية الأولى: "عن ابن مسعود ﷺ قال: أقبلنا من الحديبية مع رسول الله ﷺ فبينما نحن نسير إذ أتاه الوحي، وكان إذا اشتد عليه، فَسُرِّيَ عنه وبه من السرور ما شاء الله، فأخبرنا أنه أنزل عليه: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾[الفتح: ١]"(٢).

الرواية الثانية: ما جاء في الكلام عن سورة الفتح قال مجمع بن جارية - وهو صحابي وكان أحد القراء الذين حفظوا القرآن -: شهدنا الحديبية مع النبي ﷺ، فلما انصرفنا عنها إذ الناس يَهُزُّونَ – أي: يحثون الأباعر - فقال بعض الناس لبعض: ما بَالُ الناس؟ قالوا: أوحى الله إلى النبي ﷺ. قال مجمع: فخرجنا نُوجف - أي نحث إبلنا - فوجدنا نبي الله عند كُراع الغميم - موقع بين مكة والمدينة - فلما اجتمع الناس قرأ النبي ﷺ: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾[الفتح: ١](٣).

الرواية الثالثة: جاءت في صحيح البخاري عن عبد الله بن مغفل قال: رأيت رسول الله ﷺ يوم الفتح على ناقة له يقرأ سورة الفتح. فَرَجَّعَ - أي: كان يمد الألف المبدلة من التنوين في خواتيم الآيات – فيها: ﴿ مُّبِينًا ۝١ ﴾، ﴿ مُّسْتَقِيمًا ۝٢ ﴾، ﴿ عَزِيزًا ۝٣ ﴾(٤).

---

(١) رواه البخاري حديث رقم: (٤٥٤٠)، ومسلم حديث رقم: (١٢٠٦)، والنسائي حديث رقم: (٤٦٧٩).

(٢) رواه أبو داود حديث رقم: (٧٤٤)، والبزار (٣٩٧/٥) (البحر الزخاء)، وأحمد (١٩٤/٦) (شاكر) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٢٣/١) رجاله موثقون، وصححه شاكر والألباني في الإرواء (٣٩٢/١).

(٣) رواه البيهقي في السنن (٥٢٣/٦)، ونقل عن الشافعي في القديم قوله في مجمع بن يعقوب (أحد رواة الحديث) شيخ لا يعرف.

(٤) رواه البخاري حديث رقم: (٥٣٨٤)، ومسلم حديث رقم: (٤٩٧).

فالرواية الأولى مجملة، والثانية تنص على القراءة بصوت جَهْوَرِيٍّ على الجماهير – وهو الشاهد هنا –، والثالثة تصف جانبًا من هيئة قرأته ﷺ"اهـ(١).

٥- قراءته ﷺ وإقراؤه بعض أصحابه القرآن بصورة فردية:

أخرج ابن سعد وأحمد والبخاري ومسلم وابن مردويه عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[البينة: ١] - يعني: السورة - قال: (أُبَيٌّ) وَسَمَّانِي لك ؟ قال: نعم، فبكى، وفي لفظ: لما نزلت: ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البينة: ١] دعا رسول الله ﷺ أبي ابن كعب فقرأها عليه، فقال: أُمِرت أن أقرأ عليك (٢).

٦- كان رسول الله ﷺ يُعلِّم من حضر القرآن لِيُسْلِم:

فقد أخرج الحاكم عن رفاعة بن رافع أن رافعًا ومعاذَ بْنَ عَفْرَاءَ قَدِمَا مكة إلى رسول الله ﷺ؛ لِيُسْلِمَا فَعَلَّمَهُمَا ﷺ سورتي: (يوسف عليه السلام)، و﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ (٣).

٧- كان ﷺ يغشى الناس في مجالسهم يتلو عليهم القرآن:

ومن أمثلة ذلك أن رسول الله ﷺ كان راكبا في طريقه؛ ليعود سعد بن عبادة، فمر بعبد الله بن أبي - وهو جالس وحوله رجال في ظل حصن لهم -، فنزل رسول الله ﷺ فسلم، ثم جلس قليلا، فتلا القرآن، ودعا إلى الله عز وجل(٤).

٨- كان رسول الله ﷺ يسمعهم القرآن في الصلاة الجهرية:

ومعلوم أنه ﷺ في الصلوات الخمس عموما يقرأ في ركعتي الصبح، وفي أوليي سائر الصلوات الخمس بسورة، أو آيات بعد الفاتحة، ويكون ذلك جهرا في صلاة الصبح، والمغرب، والعشاء، وفي ركعتي الجمعة، والعيدين، وأدنى الجهر في الصلاة أن يسمع الإمام من يليه، وعلى ذلك نجد أنه كانت هناك ست ركعات جهرية يوميا، وركعتان

---

(١) ينظر: وثاقة نقل النص القرآني للدكتور محمد جبل، ص٧٦.

(٢) رواه من حديث أنس رضي الله عنه البخاري حديث رقم: (٩٥٩٤)، ومسلم حديث رقم: (٩٩٧)، والترمذي حديث رقم: (٢٩٧٣).

(٣) ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/١٦.

(٤) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام، ص ٥٨٧.

أسبوعيتان - ركعتي الجمعة -، ونحو ذلك مما يعد فرصة راتبة لسماع القرآن من النبي ﷺ.

٩- كان ﷺ يتلو عليهم القرآن في خطبه:

ومن ذلك خطبته في حادثة الإفك حيث وَصَفَتْ أُمُّنَا السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رضي الله عنها نزول الوحي عليه ﷺ فقالت: "... تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه، فسجي عليه بثوبه ... ثم سري عن رسول الله ﷺ فجلس... فجعل يمسح العرق عن جبينه، و يقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك ... ثم خرج إلى الناس فخطبهم، و تلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك(١).

* * *

علاقة التلقي والمشافهة برسم المصحف:

سبق الحديث عن تلقي النبي ﷺ من جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه وتعالى، والآن نعود إلى بيان علاقة هذه الخاصية بالمصاحف الشريفة فنقول وبالله التوفيق: المصاحف الشريفة التي نسخها سيدنا عثمان رضي الله عنه كانت لها خصائص تميزها وذلك في كتابة بعض الكلمات القرآنية بهيئة خاصة تخالف المعتاد في الكتابة؛ لأن القاعدة المعروفة أن المكتوب يوافق المنطوق فكل ما يكتب ينطق، لكن وجدت ألفاظ في المصحف لا تنطق وفق هذه القاعدة(٢)؛ لذلك كان من عمل سيدنا عثمان رضي الله عنه أنه أرسل مع كل مصحف قارئاً؛ ليعلم الناس القراءة، وهذا الموقف من سيدنا عثمان رضي الله عنه يشير إلى:

أ -أن قراءة القرآن لها وضع خاصٌّ فهي تختلف عن قراءة الكتب الأخرى والأشعار والرسائل.

ب -بعض الألفاظ مكتوبة على هيئةٍ مَا تحتمل قراءة أخري، مثل: {مَـٰلِكَ}، و{مَـٰلِكِ}.

---

(١) رواه البخاري حديث رقم: (٤١٤١)، ومسلم حديث رقم: (٢٧٧٠).

(٢) الرَّسْمُ ثَلاثَةُ أَنْوَاعٍ: النَّوْعُ الْأَوَّلُ: (الرَّسْمُ الْإِمْلَائِيُّ): وَهُوَ تَصْوِيرُ اللَّفْظِ بِحُرُوفِ هِجَائِهِ، بِتَقْدِيرِ الِابْتِدَاءِ بِهِ وَالْوَقْفِ عَلَيْهِ، وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ قَوَاعِدَهُ عُلَمَاءُ الْبَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ. النَّوْعُ الثَّانِي: (الرَّسْمُ الْعَرُوضِيُّ): وَهُوَ مَا اصْطَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَرُوضِ فِي تَقْطِيعِ الشِّعْرِ، وَاعْتِمَادُهُمْ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا يُنْطَقُ دُونَ مَا يُكْتَبُ. النَّوْعُ الثَّالِثُ: (الرَّسْمُ الْعُثْمَانِيُّ): وَهُوَ عِلْمٌ تُعْرَفُ بِهِ مُخَالَفَاتُ خَطِّ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ لِأُصُولِ الرَّسْمِ الْإِمْلَائِيِّ. ينظر: فتح المنان المروي بمورد الظمآن لابن عاشر، ورقة: (٤)، والبرهان للزركشيّ ٢٦٢/١، وهمع الهوامع للسيوطيّ ٣٤١/٦، ، ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده ٩٣/١، ونتيجة الإملاء لمصطفى عنانيّ، ص ٥.

ج -أحكام التجويد المعروفة عند علماء التجويد مثل: الإدغام، والإخفاء، والتفخيم، والترقيق، والإشمام، والمد، والقصر، ونحو ذلك، ولا يمكن الإتيان بها على الوجه الصحيح، إلاَّ بالتعلم، وذلك عن طريق التلقي من الشيوخ المتقنين.

د -بعض الوجوه الأدائية في القراءات القرآنية لا يمكن قراءتها إلا بالتلقي مثل: " التسهيل والإسقاط " في باب الهمزتين وغير ذلك من وجوه الأداء.

ومما يؤكد ذلك قول عبد الله بن مسعود ﷺ: " أخذت من فِيّ رسول الله ﷺ بِضْعًا وسبعين سورة"(١).

وأخذ بنفسه بقية سور القرآن الكريم من بعض الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ(٢)؛ ولإدراكه ﷺ أهمية التلقي والمشافهة كان إذا سُئِلَ عن سورة لم يأخذها مِن فِيّ رسول الله ﷺ صرح لهم بذلك، وأخبرهم بمن تلقاها مشافهة عن النبي ﷺ فعن المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قال: أنبئنا عبد الله: فسألته أن يقرأ: ﴿طسٓمٓ ۝١﴾ - المئين - فقال: ما هي معي، ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت، قال: فأنبئنا خباب بن الأرت فقرأها علينا(٣).

وَفِعْلُ ابن مَسْعُودٍ ﷺ هذا مع المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ دلالة على وجود غيره من الصحابة رضوان الله عليهم مِمَّنْ يحفظون القرآن الكريم، ويدل أيضًا على أن فعلهم هذا ليس بدعاً، إنما هو اتباع لفعل الرسول ﷺ الذي كان جبريل عليه السلام يعارضه القرآن الكريم في رمضان مرة، وفي العام الأخير عارضه مرتين، وما ذلك إلاَّ للتأكيد على التلقي والمشافهة. ومما يؤكد ذلك أيضًا أن النبي ﷺ أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة؛ ليُعلم القرآن ، وحين فتح مكة خَلَّفَ على أهلها عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ لِيُعَلِّمَ الناس القرآن(٤)، وقد اقتدى بسنته من بعده الخلفاءُ الراشدون؛ لاسيما سيدنا عثمان ـ رضي الله عنه ـ الذي أرسل مع كل مصحف قارئا ليعلم الناس القراءة الصحيحة.

❖ ❖ ❖

(١) ينظر: صحيح البخاري.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر العسقلاني ٤٨/٩.

(٣) رواه أحمد ٣٤/٦ (شاكر)، وصححه شاكر، وقال الهيثمي في الزوائد (٨٧/٧): رجاله ثقات.

(٤) ينظر: خصائص القرآن الكريم للدكتور فهد الرومي، ص ١٦٩.

التلقي والمشافهة والقراءات القرآنية المتواترة:

علم القراءات هو كما عَرَّفه الْإِمَامُ ابْنُ الجَزَرِيِّ (ت٨٣٣هـ) ـ رحمه الله ـ بقوله: " علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو النقلة"اهـ(١).

وأما المقرئ للقراءات: فهو العالم بها، والتي رواها مشافهة بالتلقي عن أهلها إلى أن يبلغ النبي ﷺ(٢).

وذكر ابن الجزري أن لو حفظ شخص كتاب التيسير– وهو كتاب مشهور في القراءات السبع لأبي عمرو الداني، ونظمه الإمام الشاطبي (ت٥٩٠هـ) رحمه الله – فليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافِهْهُ من شُوفِهَ به مسلسلاً؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة(٣).

وقد قرر علماءُ القراءاتِ أن الأصلَ في علم القراءات هو التلقي من أفواه المشايخ والقراء، ولا يؤخذ هذا العلم من الكتب بل بالسماع، ويدل على هذا الأصل أن النبي ﷺ تلقى القرآن الكريم من جبريل عليه السلام كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦} [النمل: ٦].

وقد تلقى الصحابة رضوان الله عليهم – خاصة القراء منهم - القرآن الكريم من رسول الله ﷺ. ولأهمية هذا التلقي والمشافهة أرشد النبي ﷺ الأمة أن يأخذوا القرآن عن أربعة من أصحابه المتقنين للقراءة.

فقد روى الإمام البخاري بإسناده عن مسروق: ذكر عبدُ الله بْنُ عَمْرٍو عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ فقال: لا أزال أحبه منذ سمعت النبي ﷺ يقول: "خذوا القرآن من أربعة: عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب"اهـ(٤).

ويدل هذا الحديث على أن قراءة القرآن تؤخذ بالتلقي من أفواه القراء المتقنين؛ لأن في علم القراءات وجوهاً لا تحكم إلاّ التلقي والمشافهة، وما قرره علماء القراءات من وجوب التلقي والمشافهة من أفواه المشايخ، هو ذاته ما قرره علماء التجويد.

---

(١) ينظر: منجد المقرئين ومرشد الطالبين ص٢.

(٢) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ٦٧/١ - ٦٨.

(٣) ينظر: الإتقان للسيوطي١٣٨/٢ -١٣٩.

(٤) رواه البخاري حديث رقم: (٣٨٠٨)، ومسلم حديث رقم: (٣٤٦٤)، ومسند أحمد ٤٢/١١ (شاكر)، والترمذي حديث رقم: (٣٨١٠).

وتأكيدًا لهذا المعنى يقول عبد الله بن مسعود ﷺ: "والله لقد أخذت من فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة"(١).

إذن الأمر في القراءة يقوم على التلقي ولا مجال للاجتهاد، ومما يؤكد ذلك ما ذكره الشيخ الزرقاني أن عثمان بن عفان ﷺ حينما بعث المصاحف إلى الآفاق، أرسل قارئاً مع كل مصحف يوافق قراءته في الأكثر الأعم(٢).

وقد اشتهر عن علماء السلف رضي الله عنهم أنهم قالوا: "القراءة سنةٌ متبعةٌ يأخذها الآخر عن الأول" قال رسول الله ﷺ: "اقرؤوا كما عُلِّمتم"(٣).

❖ ❖ ❖

القراءات توقيفية لا اجتهادية(٤):

مما يؤكد أن القراءة سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول وقوع اختلاف القراء في ألفاظ بعينها في مواضع دون مواضع أخرى: مع أنها رسمت برسم واحد في جميع المواضع، وهذا يعني أن الأمر ليس اجتهادياً، فلو كان الأمر قائماً على اختيار أحد لكان له أن يقرأ كل الألفاظ التي تكررت بقراءة واحدة، لكن الواقع على غير ذلك كما سيظهر من عرض الأمثلة الآتية:

المثال الأول:

كلمة: {مَٰلِكِ} من قوله تعالي: {مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ} [الفاتحة: ٤]، وقوله تعالي: { قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ} [آل عمران: ٢٦]، وفي سورة الناس قال تعالي: { مَلِكِ ٱلنَّاسِ} [الناس: ٢]، وفي سورة الزخرف قال تعالي: {وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ} [٧٧] رسمت في المصحف برسم واحد وهو حذف الألف.

يقول العلامة المارغني (ت١٣٤٩هـ) ـ رحمه الله ـ وأما: {مَٰلِكِ} فقد وقع علماً وصفة وذكر المواضع السابقة وذكر أن الناظم رحمه الله أطلق الحذف في جميع ذلك

---

(١) رواه البخاري، حديث رقم: (٥٠٠٠)، ومسلم حديث رقم: (٢٤٦٢)، ومسند أحمد ٥/٦ (شاكر)، والنسائي حديث رقم: (٥٠٧٨)، والسلسلة الصحيحة حديث رقم: (٣٠٢٧).

(٢) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن ٣٧٢/١ ، ٣٧٣.

(٣) ينظر: مسند الإمام أحمد ١٥٠/١ (شاكر) ، والمستدرك باب التفسير حديث رقم: (٢٩٣٤) ، والطبري حديث رقم: (١٣) وقال الذهبي رحمه الله في التلخيص: (صحيح).

(٤) وهو عنوان بحث كتبته في ترقيتي إلى درجة أستاذ مساعد.

ليشمل العلم والصفة "(١)، لكن اختلاف القراء وقع في الموضع الأول فقط فبإثبات الألف قرأ عاصم والكسائى ويعقوب وخلف، وبالحذف قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة وأبو جعفر(٢).

إذن القراءة تدور في هذا الموضوع بين: { مَلِكِ } و{مَـٰلِكِ} ، ولم يرد هذا الخلاف في موضع سورة آل عمران مع أن الكلام على الذات الإلهية، كما هو في سورة الفاتحة ولو قرئت لصح المعنى ولكن الذي قرئ به: {مَـٰلِكِ} بإثبات الألف، ولم يُقرأ بالحذف؛ لعدم ثبوت الرواية فيها، وكذا موضع سورة الناس قرئ باتفاق جميع القراء بحذف ألف: { مَلِكِ } مع أنه لو قرئ بالألف؛ لصح المعنى؛ لأنه من باب الصفات للمولى ـ سبحانه وتعالى ـ، كموضع الفاتحة وآل عمران، لكن لم يقرأ به؛ لعدم ثبوت الرواية والأثر فيها؛ مع اتفاق رسم المصحف، والأمر كذلك في موضع سورة الزخرف.

المثال الثاني:

كلمة: {غِشَـٰوَةٌ} وردت في سورة البقرة [٧]، والجاثية [٢٣] برسم واحد، وهو حذف الألف، كما نصَّ على ذلك الخَرَّازُ(٣) وغيره، ومع ذلك قرئ موضع البقرة باتفاق القراء في القراءات المتواترة بكسر الغين وفتح الشين وإثبات ألف بعدها.

أما موضع الجاثية [٢٣] فقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب وعاصم بكسر الغين وفتح الشين مع الألف كالسابقة، وقرأ حمزة والكسائى وخلف: (غَشْوَةً) بفتح الغين وسكون الشين وحذف الألف بعدها(٤).

إذن ورد الخلاف في موضع الجاثية دون موضع البقرة مع الاتفاق في الرسم، ولو قرئ موضع البقرة كذلك؛ لكان صحيحاً لغة ومعني؛ لأن السياق الذي وردت فيه الآيتان قريب بعضه من بعض، فآية البقرة توضح سبب عدم الإيمان لهؤلاء الكفار الوارد ذكرهم

---

(١) ينظر: دليل الحيران للخراز، ص ٧٦، والمقنع لأبي عمرو الداني ، ص ٢١.

(٢) ينظر: المبسوط في القراءات العشر لسبط الخياط، ص ٨٦.

(٣) ينظر: دليل الحيران ص ٨٤.

(٤) ينظر: المبسوط، ص ٤٠٤.

في قوله تعالي: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦}.

قال العلامة أبو السعود (ت٩٨٢هـ) رحمه الله في تفسيرها: {خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧} ؛ استئناف تعليلي لما سبق من الحكم، وفي موضع الجاثية تعجب من حال هؤلاء الكفار الذين اتخذوا ءالهة من دون الله ؛ طاعة لهواهم، فختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة تغطى أعينهم فلا يبصرون"اهـ(١).

إذن المعنى فيهما يصلح فيه جواز القراءتين لكن الذي جرى فيه الخلاف هو موضع سورة الجاثية دون موضع سورة البقرة.

المثال الثالث:

كلمة: { ٱلصَّٰعِقَةُ }: وردت هذه الكلمة معرفة ومنكرة في القرآن الكريم في عدة مواضع، نحو قوله تعالى:

- { فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٥ } [البقرة: ٥٥].
- { فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ } [النساء: ١٥٣].
- { أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ} [فصلت: ١٣].
- {فَأَخَذَتۡهُمۡ صَٰعِقَةُ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡهُونِ} [فصلت: ١٧].
- { فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ } [الذاريات: ٤٤].

هذه الكلمة مرسومة في جميع المصاحف بحذف الألف بعد الصاد حيثما وردت في القرآن الكريم(٢)، ولكن الخلاف وقع في موضع سورة الذاريات [٤٤] فقط، فقرأه الكسائى بإسكان العين من غير ألف، والباقون بكسر العين وإثبات الألف(٣)، أما بقية

(١) ينظر: إرشاد العقل السليم ١ / ٣٧.

(٢) ينظر: دليل الحيران، ص٦٦.

(٣) ينظر: السبعة لابن مجاهد، ص٦٠٩، والمبسوط، ص٤١٥.

المواضع فلم يجر فيها الخلاف، مع أن المعني فيهن لا يمنع ذلك، فسياق آياتها جميعاً هو إيقاع العذاب على المكذبين والمعاندين.

المثال الرابع:

قوله تعالى: { وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا } في سورة البقرة [١١٦] في مصحف الشامين(١) بغير واو وفي غيره بالواو وورد نفس هذا اللفظ في سورة يونس من غير واو: { قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا } [٦٨]، ولكن خلاف القراء وقع في موضع البقرة فقرأ ابن عامر من غير واو والباقون بإثبات الواو(٢)، ولم يقع هذا الخلاف في موضع سورة يونس، وليس هناك مانع يمنع لو لم تكن القراءة مبنية على التوقيف فالمعني فيهما هو ذكر مقولة الكافرين الباطلة في حق الله تعالي من اتخاذه ولدا سبحانه عما يقولون علوا كبيرا.

المثال الخامس:

كلمة: { كَرْهًا }(٣) وردت في القرآن الكريم في ستة مواضع، وهي:

الأول: {طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣].

الثاني: {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا} [النساء: ١٩].

الثالث: {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} [التوبة: ٥٣].

الرابع: {مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا} [الرعد: ١٥].

الخامس: { فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا } [فصلت: ١١].

السادس: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [الأحقاف: ١٥].

---

(١) ينظر: شرح العقلية للسخاوي، ص١٣٨.

(٢) ينظر: العنوان ص٧١.

(٣) قال الراغب (ت٤٢٥هـ) ـ رحمه الله ـ: " قيل الكَره والكُره واحد، وقيل: الكَره المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره ما يناله من ذاته وهو يعافه وذلك على ضربين أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع، والثاني ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه، بمعنى أني أريده من حيث الطبع، وأكرهه من حيث العقل والشرع. ينظر: المفردات، ص٤٢٩.

والملحوظ هنا أن الكلمة القرآنية: {كُرْهًا} رسمت في جميع مواضعها برسم واحد، ومع ذلك وقع الخلاف في مواضع سورة النساء، والتوبة، والأحقاف(١).

قال الإمام الشاطبى (ت٥٩٠هـ) رحمه الله:

وَضَمَّ هُنَا كَرْهًا وَعِنْدَ بَرَاءَةٍ ❖ شِهَابٌ وَفِي الأَحْقَافِ ثُبِّتَ مَعْقِلاَ(٢)

❖❖

أي: إن الإمامين حمزة والكسائي وكذلك خلف العاشر المشار إليهما بالشين من قوله: {شِهَابٌ} قرؤوا: {كَرْهًا} من قوله تعالي: {لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا} [النساء: ١٩] وكذا موضع التوبة: {قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} [٥٣] بالضم في الكاف، والباقون بالفتح. وأما موضعا الأحقاف: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا} [١٥] فقرأهما حمزة والكسائي وعاصم وابن ذكوان بضم الكاف، والباقون بفتحها(٣).

وأما بقية المواضع التي سبق ذكرها فقرئت بالفتح فقط، وليس هناك مانع من قراءتها بالضم إلا عدم وجود الأثر!

بل الأعجب من ذلك أن عاصماً اشترك مع حمزة والكسائى في موضعي الأحقاف فقط، ولم يقرأ معهما موضعي النساء والتوبة، فما المانع لو كان الأمر اجتهادياً أن يقرأ معهما كذلك؟ لكن لم يقرأ؛ لأنه لم يتصل سنده بهذه القراءة، وهو من أهل الكوفة، ولماذا انفرد ابن ذكوان بهذا الموضع دون الباقي؟ الجواب: اتباع الأثر.

المثال السادس:

كلمة: (يَحْزُنُ) وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة، كما في قوله تعالي: {وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ}[آل عمران: ١٧٦]، وكذا قوله تعالي: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ} [المائدة: ٤١]، وقوله تعالى: {قَدْ

(١) سبق ذكر الآيات الواردة فيها.

(٢) متن الشاطبية، بيت رقم: (٥٩٤).

(٣) ينظر: الإتحاف ٥٠٦/١

نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ } [الأنعام: ٣٣]، وقوله تعالى: { فَلَا تَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ } [يس: ٧٦] إلى غير ذلك من المواضع فكل ما في القرآن يقرؤه نافع بضم الياء وكسر الزاي إلا موضع الأنبياء وهو قوله تعالي: { لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ } [الأنبياء: ١٠٣] فقرأ بفتح الياء وضم الزاي(١). في حين أن أبا جعفر قرأ موضع الأنبياء خاصة بضم الياء وكسر الزاي وقرأ بقية المواضع بفتح الياء وضم الزاي(٢) فهل تستطيع أن تعلل ذلك إلا باتباع الرواية والأثر في قراءة كل منهما.

المثال السابع:

كلمة: {مُّدْخَلاً} وردت هذه الكلمة في أكثر من آية قال تعالي: {وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا } [النساء: ٣١]، وقوله تعالي: { لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَئًا أَوْ مَغَرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلاً } [التوبة: ٥٧]، وقوله تعالي: { وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ }[الإسراء: ٨٠]، وكذا في قوله تعالي: { لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلاً يَرْضَوْنَهُۥ } [الحج: ٥٩]، ومع ذلك ورد الخلاف في سورتي النساء [٣١]، والحج [٥٩] فقرأ كلمة: {مُّدْخَلاً} فيهما بضم الميم الإمام نافع وأبو جعفر، وباقي القراء بفتح الميم(٣).

ولم يرد ذلك في كلمة: (مُدْخَلَ) مع صحة المعنى في الكلمة بل لم يرد الخلاف في موضع سورة التوبة من طريق الشاطبية مع اتفاق الرسم في الكلمة، وهذا يؤكد حقيقة مهمة، وهي أن القراءات تقوم على التلقي والمشافهة ولا مجال للاجتهاد فيها.

المثال الثامن:

---

(١) السبعة لابن مجاهد ص١١٣.

(٢) النشر ٢ / ٢٤٤.

(٣) ينظر: الاختيار في القراءات العشر ١ / ٣٥١.

كلمة: {ٱلرُّشۡدِ}(١)، ورد هذا اللفظ في مواضع متعددة من كتاب الله تعالي معرفاً ومنكراً قال تعالي:

-{قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦].

-{فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدًا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ} [النساء: ٦].

- {وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا} [الأعرف: ١٤٦].

-{وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا} [الكهف: ١٠].

-{وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدًا} [الكهف: ٢٤] . -{عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدًا} [الكهف: ٦٦].

-{يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا} [الجن: ٢].

-{أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدًا} [الجن: ١٠].

-{فَمَنۡ أَسۡلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوۡاْ رَشَدًا} [الجن: ١٤].

-{قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدًا} [الجن: ٢١].

فمع تعدد مواضع هذه الكلمة - أي: {ٱلرُّشۡدِ} - إلا أن الخلاف دار في سورتي الأعراف [١٤٦]، وآخر الكهف [٦٦]، فقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر موضع الأعراف بفتح الراء والشين، وباقي القراء بضم الراء وسكون الشين. وقرأ أبو عمرو ويعقوب وحدهما في موضع سورة الكهف الأخير [٦٦] بفتح الراء، وباقي القراء بضمها(٢).

---

(١) (الرُّشْدُ) و(الرَّشَدُ) : خلاف الغي، قال بعضهم : (الرُّشْدُ) أخص من (الرَّشَدِ) فإن (الرُّشْدَ) يقال في الأمور الدنيوية والأخروية، و(الرَّشَدَ) في الأمور الأخروية لا غير ينظر: المفردات ص١٩٦.

(٢) ينظر: الإتحاف ٢١٩/٢.

أما بقية المواضع فلم يجر فيها الخلاف مع قرب المعني في كل منها بل ذهب البعض إلى عدم التفريق بين: (الرُّشْدِ)، و(الرَّشَدِ)، وجعل المراد منه الهدي والصلاح.

ومع إجازة اللغة لكلتا القراءتين، فهما لغتان في المصدر كـ: (البُخْلِ)، و(الْبَخَلِ)، و(السُّقْمِ)، و(السَّقَمِ)، و(الحُزْنِ)، و(الحَزَنِ)(١).

إلا أن الخلاف لم يقع إلا في المنصوص عليه كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

المثال التاسع:

كلمة: {ضَرًّا}(٢)، وردت هذا الكلمة في القرآن الكريم في الآيات الآتية:

-{مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [المائدة: ٧٦].

-{قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا}[الأعراف: ١٨٨].

-{قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [يونس: ٤٩].

-{وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [طه: ٨٩].

-{وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [الفرقان: ٣].

-{فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا} [سبأ: ٤٢].

-{إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا} [الفتح: ١١].

-{قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا} [الجن: ٢١].

فمع تعدد أماكن ورود هذه الكلمة في القرآن الكريم، إلا أن الموضع الذي ورد فيه الخلاف هو سورة الفتح [١١] فقط، حيث قرأه بضم الضاد حمزة والكسائى وخلف

---

(١) ينظر: المفردات، ص ١٩٦.

(٢) (الضُّرُّ): سوء الحال، إما في نفسه لقلة العلم، والفضل، والعفة، وإما في بدنه؛ لعدم جارحة ونقص، وإما في حالة ظاهرة؛ من قلة مال وجاه. ينظر: المفردات، ص٢٩٣.

العاشر، والباقون بالفتح(١)، والمعنى على ما يقول الإمام أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) رحمه الله"(الضَّرُّ) بالفتح ضد النفع، و(الضُّرُّ) بالضم سوء الحال"اهـ(٢).

ومع ذلك لم يقع الخلاف إلا في موضع سورة الفتح دون غيره من المواضع.

المثال العاشر:

كلمة: {فَعُمِّيَتْ}(٣)، وردت هذه الكلمة في سورتي هود والقصص ففي سورة هود قوله تعالى: {فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَرِهُونَ ﴿٢٨﴾}، وفي القصص: { فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾}، وجاء خلاف القراء في موضع سورة هود [٢٨] فقط، فقرأه حفص و حمزة والكسائي وخلف بضم العين وتشديد الميم والباقون بفتح العين وتخفيف الميم(٤). أما موضع سورة القصص فقد اتفق على قراءته بالفتح والتخفيف، فلماذا وقع الخلاف في لفظ سورة هود دون القصص [٦٦] مع صلاحية ذلك لكل منهما، والمعنى دال على عدم الاهتداء واشتباه الأمور واقع في كل؟

إذن هذا يؤكد أن القراءة لا تقوم على القياس أو الاجتهاد، وإنما تقوم على التلقي والمشافهة. والله تعالى أعلم.

المثال الحادي عشر:

الفعل: { نَسْقِى }، ورد في القرآن الكريم أربع مرات، وهي في قوله تعالى:

-{نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ} [النحل: ٦٦].

-{نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا} [المؤمنون: ٢١].

-{وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَـٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا} [الفرقان: ٤٩].

---

(١) ينظر: النشر ٢ / ٣٧٥.

(٢) ينظر: علل القراءات ٢ / ٦٣٨.

(٣) مأخوذة من: (عمي)، والعمى يقال في افتقاد البصر والبصيرة... وعمي عليه أي اشتبه. ينظر: الراغب، ص ٣٤٨.

(٤) ينظر: إيضاح الرموز للقباقبي، ص ٢٧٩.

-{قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُ} [القصص: ٢٣].

يلحظ مما سبق أن الفعل: { نَسۡقِي } ورد بصيغة المضارع في هذه الآيات الكريمات، وسياقهن قريب في الجميع، فَكُلُّهُنَّ في جانب (سقيا الماء أو اللبن)، ولكن الخلاف وقع في موضعي النحل [٦٦]، والمؤمنون [٢١]، دون غيرهما من المواضع، فقرأ أبو جعفر في النحل والمؤمنون بالتاء مفتوحة، وقرأ الباقون بالنون فيهما، واختلفوا في حركة النون، فقرأ بالفتح فيها نافع وابن عامر وشعبة ويعقوب، والباقون بضم النون"(١).

أما بقية المواضع فلا خلاف فيها للقراء، كما سبق مع ملاحظة أن المصحف الشريف كان خالياً من الشكل والنقط، وليس هناك مَانِعٌ لُغَوِيٌّ؛ لأن: (سَقَيْتُهُ) و(أَسْقَيْتُهُ) بمعنى واحد إجمالا، كما قاله الإمام أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) رحمه الله(٢). ومع ذلك لم يرد خلاف القراء إلا في المنصوص عليه كما سبقت الإشارة إليه.

المثال الثاني عشر:

كلمة: {سِخۡرِيًّا} ذكرت هذه الكلمة في ثلاث سور:

-{فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي} [المؤمنون: ١١٠].

-{أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ} [ص: ٦٣].

-{لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا سُخۡرِيًّا} [الزخرف: ٣٢].

ويلحظ أن خلاف القراء وقع في موضعي المؤمنون [١١٠]، وص [٦٣]. أما موضع سورة الزخرف [٣٢] فلم يرد فيه هذا الخلاف الوارد فيهما من ضم السين وهي قراءة خلف وأبي جعفر ونافع وحمزة والكسائى والباقون بكسر السين، واتفقوا على ضم السين في حرف الزخرف"(٣).

---

(١) ينظر: الإتحاف ١٨٦/٢.

(٢) ينظر: علل القراءات ١ / ٣٠٧.

(٣) ينظر: النشر: ٣٢٩/١.

وليس هناك فرق يذكر بين الضم والكسر فكما قال أبو منصور الأزهري (ت٣٧٠هـ) رحمه الله "... وروى عن الكسائي (ت١٨٩هـ)، والخليل (ت١٧٠هـ)، وسيبويه (ت١٨٠هـ) أنهما بمعنى واحد كقول العرب: (بَحْرٌ لُجِّيٌّ)، و(لُجِّيٌّ)، و(كَوْكَبٌ دِرِّيٌّ) و(دُرِّيٌّ)"(١).

وعلى هذا يتبين لنا بكل يقين أن القراءات القرآنية توقيفية لا اجتهادية، وأنها قائمة على التلقي والمشافهة والسماع والرواية والأثر(٢). والله تعالى أعلم.

أقوال العلماء في التلقي والمشافهة:

قال الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) رحمه الله: "إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده، فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه"اهـ(٣).

وقال الإمام ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) رحمه الله: "ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها. والناس في ذلك بين محسن مأجور، ومسيء آثم، أو معذور، فمن قدر على تصحيح كلام الله تعالى باللفظ الصحيح العربي الفصيح، وعدل إلى اللفظ الفاسد العجمي، أو النَّبَطِيِّ القبيح، استغناءً بنفسه، واستبداداً برأيه وحدسه، واتكالاً على ما ألف من حفظه، واستكباراً عن الرجوع إلى عالم يوقفه على صحيح لفظه، فإنه مقصر بلا شك، وآثم بلا ريب، وغاشٌّ بلا مرية، فقد قال رسول الله ﷺ: "الدين النصيحة: قلنا لمن يا رسول الله ﷺ، قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين

(١) ينظر: معاني القراءات، ص ٣٢٨.

(٢) يرجع إلى هذه الأمثلة إلى كتابنا: (القراءات توقيفة لا اجتهادية).

(٣) ينظر: معالم التنزيل ١/٣٧.

وعامتهم"(١). أما من كان لا يطاوعه لسانه ؛ أو لا يجد من يهديه إلى الصواب بيانه فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها"اهـ(٢).

وقال الإمام السيوطي (ت٩١١هـ) رحمه الله: "والأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وأحكامه متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من الأئمة القراء المتصل سندهم بالنبي ﷺ". وقال الخطيب البغدادي: "الذي لا يأخذ العلم من أفواه العلماء لا يُسمى عالماً، ولا يُسمى الذي يقرأ من المصحف من غير سماع من القارئ قارئاً، إنما يسمى مصحفياً اهـ(٣).

وقال الشيخ الدِّمْيَاطِيُّ (ت١١١٧هـ) رحمه الله في تعريفه المقرئ: "هو: من علم بها – أي: القراءات – أدْاءً ، ورواها مشافهةً ، فلو حفظ كتاباً امتنع عليه إقراؤه بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلاً ؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة، بل لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ فقط في التحمل وإن اكتفوا به في الحديث، قالوا: إن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس من سمع من لفظ الشيخ يقدر على الأداء، أي: فلا بد من قراءة الطالب على الشيخ بخلاف الحديث، فإن المقصود منه المعنى، أو اللفظ، لا بالهيئات المعتبرة في أداء القرآن، أما الصحابة فكانت طباعهم السليمة وفصاحتهم تقتضي قدرتهم على الأداء كما سمعوه منه ﷺ لأنه نزل بلغتهم"اهـ(٤).

وقال الشيخ محمد علي خلف الحسيني رحمه الله: "وإذ قد علمت أن التجويد واجب، وعرفت حقيقته علمت أن معرفة الأداء، والنطق بالقرآن على الصفة التي نزل بها متوقفة على التلقي والأخذ بالسماع من أفواه المشايخ الآخذين لها، كذلك المتصل سندهم بالحضرة النبوية ؛ لأن القارئ لا يمكنه معرفة كيفية الإدغام، والإخفاء، والتفخيم، والترقيق، والإمالة المحضة، أو المتوسطة، والتحقيق، والتسهيل، والروم، والإشمام، ونحوها، إلاَّ بالسماع والإسماع، حتى يمكنه أن يحترز عن اللحن والخطأ،

---

(١) رواه مسلم حديث رقم: (٥٥) وأبو داود حديث رقم: (٤٩٤٤) من حديث تميم الداري.
(٢) ينظر: النشر ١/٢٣٧.
(٣) ينظر: الإتقان ١/٣٢٤.
(٤) ينظر: الإتحاف ١/ ٦٨.

وتقع القراءة على الصفة المعتبرة شرعاً، إذا علمت ذلك تبين لك أن التلقي المذكور واجب؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، كما هو معلوم؛ ولأن صحة السند عن النبي ﷺ ، عن روح القدس، عن الله عز وجل بالصفة المتواترة أمرٌ ضروري للكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد؛ ليتحقق بذلك دوام ما وعد به تعالى في قوله جل ذكره: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر: ٩]. .

وحينئذ فأخذ القرآن من المصحف بدون معلم لا يكفي بل لا يجوز ولو كان المصحف مضبوطاً... فالحاصل أنه لا بد من التلقي من أفواه المشايخ الضابطين المتقنين على ما تقدم، ولا يعتد بالأخذ من المصاحف بدون معلم أصلاً، ولا قائل بذلك، ومرتكبه لاحظ له في الدين؛ لتركه الواجب، وارتكابه المحرم هذا محصل ما كتبه في هذا الموضوع من فطاحل الأئمة ممن يوثق بقولهم، ومن جهابذة الأمة ممن يؤخذ برأيهم في المعقول يرجع إليهم، وفي المنقول يعتمد عليهم؛ لذا قيل:

مَنْ يَأْخُذِ الْعِلْمَ عَنْ شَيْخٍ مُشَافَهَةً ❖ يَكُنْ عَنِ الزَّيْغِ وَالتَّصْحِيفِ فِي حَرَمِ

❖❖

وَمَنْ يَكُ آخِذًا لِلْعِلْمِ مِنْ صُحُفٍ ❖ فَعِلْمُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ كَالْعَدَمِ(١).

❖❖

وقد قال بعض السلف رضي الله عنهم: "لا تأخذ القرآن من مُصْحَفِيٍّ، ولا تأخذ الحديث من صُحُفِيٍّ"اهـ(٢).

فَالْمُصْحَفِيُّ: هو الذي يقرأ القرآن من المصحف، ولم يتتلمذ على أيدي القراء، والصُّحُفِيُّ: من أخذ العلم عن الكتب والصحف، لا عن العلماء.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو حَيَّانَ (ت٧٤٥هـ) رحمه الله:

(١) ينظر: القول السديد في بيان حكم التجويد، ص ٩ (وما بعدها).

(٢) ينظر: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف لأبي أحمد العسكري، ص١٠.

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي ❖ أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ
❖❖
وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ❖ غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
❖❖
إِذَا رُمْتَ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ❖ ضَلَلْتَ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
❖❖
وَتَلْتَبِسُ الأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ❖ تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُوْمَا الْحَكِيمِ
❖❖

وخلاصة الأمر أن علم القراءات وكذا علم التجويد لا يؤخذان من الكتب والمصاحف بل لا بد من التلقي من العلماء والقراء المتقنين، ولا يظنن أحد أنه إن حفظ متناً من متون القراءات، كالشاطبية فإنه قادر على تدريس هذا العلم، فَأَنَّى له ذلك ما لم يَتَلَقَّهُ بالسماع والمشافهة، وعلى من أراد دراسة علم القراءات والتجويد أن يأخذه من أهل هذا الشأن، وليس من أدعياءه، وهم في زماننا كثر.

بين علمي التلقي والمشافهة والتقنيات الحديثة:

الأصل في علمي التلقي والمشافهة أنهما في مرحلة التأسيس لعلوم الشريعة عموماً، ولهذين العلمين – القراءات والتجويد - خصوصاً ومن ثم فلا بد ابتداءً من توجيه المعلم الطالبَ وتربيته على التلقي الشخصي، الشفوي المباشر وذلك لما للعلوم الشرعية من خصوصية؛ تتطلب أن يتلقى الطالب كيفيات الأداء الأصلية من المعلم ومما يحصل للمتعلم وراء ذلك أمور منها:

١ -أن ملازمة المتعلم المعلمَ تؤثر في شخصيته، وتكسبه الكثير من الصفات النفسية والخُلُقِيَّةِ، والسجايا العلمية، وتنمية الملكة عن طريق الحوار والنقاش، والتصويب، والتسديد.

٢ -أن التعليم الإلكتروني ـ أو استخدام التقنيات الحديثة ـ في نقل العلوم الشريعة ـ ومنها نقل القرآن الكريم بقراءاته وكذا تجويد أدائه ـ لا يكون المرحلة الأولي التي يتلقي منها الطالب القرآن الكريم وكيفيات أدائه بل لا بد من العرض على شيخ متقن يتلقي عنه.

٣ -أن المنصف من التربويين والشرعيين يَفْرُقُ بين أمرين مهمين في نقل العلوم الشريعة:

أولهما: استعمال التقنيات والوسائل الحديثة في الدرس العلمي، وهو عامل مساعد لا أساس، حيث يهدف إلى تعميق المفاهيم وتقريبها ومن ثم تقوية التعليم المبني على التلقي.

ثانيهماً: دور المعلم والوسيلة في الموقف التعليمي، وهو البناء الأساسي لعقلية الطالب، وكيفية تفكيره، وغرس المباني الأساسية للعلم.

ونؤكد هنا أن أحداً لا يمكنه أن ينكر دور المعلم والوسيلة في نقل العلوم، لكنه يرتب الأهمية في نقل العلوم.

أما المعلم فهو كالقاضي يحكم على أداء المتعلم بعد تلقينه العلم النظري والأدائي وأما الوسيلة فهي أوقع في الجانب النظري، وإن شئت فقل الوسيلة تهدف إلى التصحيح والتدريب والتعليم، أما التلقي من المعلم فيجمع بين ما تَهْدُفُ إليه الوسيلة والعناية بالأداء الأمثل المتصل السند بالنبي ﷺ.

والمتأمل في المشهد العام يمكنه الإطباق على أمرين:

الأول: أن التلقي من الوسائل والتقنيات الحديثة يحتاج إلى وضوح وسيلة التقنية المستخدمة في عملية التصحيح والتدريب، وهذا النوع يستخدمه الكثير من عامة المسلمين الراغبين في تصحيح تلاوتهم.

الثاني: التلقي من المعلم هو الأصل في النقل ـ نقل العلم ـ وأهم شرط للتلقي في هذا النوع هو إتقان الشيخ وهذا النوع رغبة عامة المسلمين وأمل المتخصصين، وما تقسيم الإمام ابن مجاهد (ت٣٢٤هـ) رحمه الله لمن يفزع الناس إليه ويرحلون إليه منا ببعيد(١).

(١) ينظر: السبعة لابن مجاهد، ص ٤٥ .

أهم النتائج:

١ -التلقي والمشافهة هما الأصل الرصين والركن الركين في أخذ القرآن قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [النمل: ٦].

٢ -عناية النبي ﷺ الشديدة بالتلقي السليم من جبريل عليه السلام، وهذا يظهر من قول الله تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ} [القيامة: ١٦].

٣ -جهود الصحابة رضوان الله عليهم في المحافظة على نقل النص القرآني أداء مسموعا كما تلقوه.

٤ -إرسال الصحابة رضوان الله عليهم القراء إلى الأمصار؛ حفاظا على حجية التلقي والمشافهة.

٥ -يقينية عدم تغيير لفظ واحد، بل ولا حرف من القرآن الكريم منذ أن نزل على النبي ﷺ إلى زمننا هذا، ومن ثم إلى يوم القيامة؛ لأنه نقل في حلقات مضيئات، وأوعية طاهرة اصطفاها الله لذلك قال تعالى: { ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ} [فاطر: ٣٢].

٦ -بداية الفترة الزمنية التي تدل على التلقي والمشافهة، هي أول نزول الوحي على النبيﷺ بقوله تعالى: { ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ } [العلق: ١].

٧ -الاشتغال بالدراسات القرآنية من أعظم ما يفني فيه الإنسان عمره؛ خاصة علم القراءات وما يتعلق به من أمور.

٨ -جواز مواكبة تقنيات العصر الحديث في المساعدة على حفظ القرآن الكريم، لكن بشرط الرجوع إلى المشايخ الضابطين والأخذ من أفواههم.

والله تعالى أعلم.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم
أهمية هذا الموضوع	٢
أهدافه	٢
خطة البحث	٢
الأسباب التى أدت إلى اختيار هذا الموضوع	٣
التمهيد	٤
مدخل إلى أهمية التلقى والأداء والمشافهة	٦
مفهوم التلقى والمشافهة فى اللغة	٧
طرق أداء القرآن الكريم وتحمله	٧
صيغ التلقى والمشافهة	٨
(أخذ)	٨
(عرض)	٩
(قرأ)	١٠
التلقى عند أهل الأداء وأهل الحديث	١١
حجية تلقى القراءة القرآنية	١٢
صفة قراءة النبى ﷺ	١٢
التلقى والمشافهة فى حياة الصحابة رضوان الله عليهم	١٤
كيفية تلقى الصحابة رضوان الله عليهم	١٥
صور تبليغ النص القرآنى شفاهيا (جماعيا) بغير عرض	١٦
علاقة التلقى والمشافهة برسم المصحف الشريف	١٩
القراءات توقيفية لا اجتهادية	٢٢
أقوال العلماء فى التلقى والمشافهة	٣٣
بين علمى التلقى والمشافهة، والتقنيات الحديثة	٣٥
أهم النتائج	٣٧
فهرس الموضوعات	٣٨